أثر رحلة العلماء النفوسيين إلى المشرق على الحركة العلمية والفكرية في جبل نفوسة (رحلة ابن مغطير الجناوني إلى البصرة نموذجا)

أ. إبراهيم علي القلال
متعاون مع كلية التربية جادو – جامعة نالوت
Ebrahemalgllal@gmail.com
0927467104

الملخص:

تأتي هذه الدراسة في محاولة لتناول أحد الوسائط الثقافية التي ساهمت في انتعاش الحركة العلمية في جبل نفوسة في القرنين 2. 3 هـ / وهي رحلة طلاب العلم النفوسيين إلى البصرة واعتمدت الدراسة على نموذج من تلك الرحلات وهي رحلة ابن مغطير الجناوني.

تم تقسيم هذه الدراسة إلى خمس مباحث وهي:

المبحث الأول: يتناول الإطار المنهجي للدراسة متضمنا: . مقدمة البحث . وإشكاليته أهدافه . أهميته . فرضياته المنهج المتبع في الدراسة . الدراسات السابقة.

المبحث الثاني: يتناول مدخل للحركة العلمية في جبل نفوسة من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى نهاية القرن الثالث الهجري كما يتناول بعض العوامل والوسائط العلمية والثقافية التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في الجبل في هذه الفترة مثل (المساجد . المدارس – المجالس العلمية . رحلات وتنقل طلاب العلم واساتذتهم بين مدن الجبل . المكتبات . رحلات طلاب العلم الداخلية والخارجية).

المبحث الثالث: يتناول الحديث عن الرحلة العلمية وفوائدها ورحلات طلاب العلم من جبل نفوسة والمغرب إلى المشرق خاصة البصرة وتأثيرها على الحركة العلمية في الجبل.

المبحث الرابع: يتناول رحلة ابن مغطير الجناوني إلى البصرة نموذجا . متضمنا الحديث عن سيرته الذاتية ورحلته إلى البصرة والعودة إلى الجبل وأثرها على الحركة العلمية في عموم جبل نفوسة.

المبحث الخامس: يتضمن خاتمة البحث ونتائج الدراسة، وتوصياتها، وقائمة بالمصادر، والمراجع.

الكلمات المفتاحية: جبل نفوسة، الحركة العلمية، ابن مغطير الجناوني.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف الخلق أجمعين.

أما بعد: فقد شهد جبل نفوسة بعد الفتح الإسلامي تغيرات هائلة في مختلف مجالات الحياة لا سيما في مجال الحياة الفكرية، واهتم السكان بالعلم والتعليم خاصة ما يتعلق بالدين واللغة العربية لفهم مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه. وقد ازدهرت هذه الحركة الفكرية والعلمية في القرنين الثاني والثالث الهجري بفعل مجموعة من العوامل

والوسائط ومنها المساجد التي اهتم أهالي نفوسة بتشييدها في مختلف قراهم ومدنهم لما لها من أهمية دينية واجتماعية وتعليمية، فكان لذلك الأثر الكبير في تطور نظام التعلم وأساليبه وطرقه. كما أدت المدارس دورا بارزا في إثراء هذه الحركة الفكرية وتنوعها, وأهتمت بتحفيظ كتاب الله ومبادئ القراءة والكتابة وغيرها من العلوم الشرعية , وتوافد عليها التلاميذ وغصت بحلقات العلم التي أدارها شيوخا أجلاء من الجبل وخارجه , وتخرج منها العديد من العلماء الذين ساهموا في تطوير وازدهار الحركة العلمية ' إضافة إلى ذلك هناك بعض الحلقات العلمية التي تقام في المنازل الخاصة , والساحات العامة ,وكانت المجالس العلمية التي تعقد من حين لآخر في مدن الجبل وهي شبيهة بالمؤتمرات العلمية في عصرنا هذا عاملا آخر لتطور هذه الحركة, وهناك رافدا آخر ساهم في ازدهار هذه الحركة في جبل نفوسة وهو ترحال طلاب العلم والعلماء الأساتذة وانتقالهم بين مدن وقرى الجبل من أجل تعليم الآخرين أو طلبا لمزيد من العلم ,إضافة إلى اغتنام فرصة الالتقاء بغيرهم من العلماء للتباحث وإثارة العديد من المسائل الفقهية مما يساعد على تلاقح الأفكار وتقارب وجهات النظر. وكان لرحلات طلاب العلم النفوسيين وغيرهم خارج الجبل شرقا وغربا وعودتهم الأثر البالغ في ازدهار هذه الحركة، حيث ارتبط سكان الجبل بعلاقات ثقافية واجتماعية وسياسية بمحيطهم الإسلامي، فشد طلاب العلم الرحال إلى الحواضر العلمية الإسلامية في المشرق والمغرب طالبين للعلوم والمعارف، ودرسوا على علماء أكفاء سنين طويلة وعادوا إلى أوطانهم وأصبحوا زادا في إنعاش الحركة العلمية فيه، ومن هذه الرحلات على سبيل المثال: رحلة ابن مغطير الجناوني إلى البصرة، ورحلة حملة العلم المغاربة. وهذه الدراسة محاولة لتناول أحد الوسائط الثقافية التي ساهمت في انتعاش الحركة العلمية في جبل نفوسة في القرنين (2-3 هـ /8-9 م) وما بعده، وهي رحلة طلاب العلم النفوسيين إلى المشرق خاصة إلى البصرة، واعتمدت الدراسة رحلة ابن مغطير الجناوني نموذجاً لذلك.

تم تقسيم هذه الدراسة إلى خمس مباحث يندرج تحتها مجموعة متطلبات، والمباحث هي: -

1- المبحث الأول: يتناول الإطار المنهجي للدراسة متضمنا: إشكاليته، هدفه، أهميته وتساؤلاته، وسبب اختياره، المنهج المتبع في الدراسة، الدراسات السابقة.

2-المبحث الثاني: يتناول مدخل للحركة العلمية في جبل نفوسة من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى نهاية ق 3 هـ، كما يتناول بعض العوامل والوسائط العلمية والثقافية التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في الجبل في هذه الفترة مثل: (المساجد - المدارس -المجالس العلمية - رحلات وتنقل طلاب العلم وأساتذتهم بين مدن الجبل - المكتبات- رحلات طلاب العلم الداخلية والخارجية.

3- المبحث الثالث: يتناول التواصل الثقافي بين إباضية المشرق والمغرب ومظاهره، مع التركيز على أحد هذه المظاهر وهي الرحلة العلمية وفوائدها، والحديث عن الرحلة إلى البصرة مركز الفكر الإباضي وانطلاق الدعوة

منها واستقبالها لطلبة العلم خاصة من المغرب وجبل نفوسة ورجوعهم إلى أوطانهم وأثرها على الحركة العلمية فيه.

4- المبحث الرابع: يتناول رحلة ابن مغطير الجناوني إلى البصرة نموذجا لرحلة طلاب العلم النفوسيين إلى البصرة، متضمنا الحديث عن سيرته الذاتية والرحلة إلى البصرة والعودة إلى الجبل، وأثر تلك الرحلة على الحركة العلمية والفكرية في عموم جبل نفوسة.

5 – المبحث الخامس: يتضمن نتائج الدراسة وتوصياتها وقائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: – الإطار المنهجي للدراسة

المطلب الأول: إشكالية الدراسة.

لعبت الرحلة العلمية لطلاب العلم النفوسيين إلى المشرق دورا هاما في ازدهار الحركة العلمية في جبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجري، ومن ضمن تلك الرحلات رحلة ابن مغطير الجناوني إلى البصرة الذي درس على إمام المذهب أبوعبيدة مسلم ابن أبي كريمة وغيره من الشيوخ، واستفاد من النهضة العلمية وأسلوب الدراسة السائد هناك، وعاد إلى موطنه وساهم في تطوير الحركة العلمية في الجبل وازدهارها.

ومن هذا المنطلق يمكن تحديد إشكالية هذه الدراسة في التساؤل الآتي: .

ما هو أثر رحلة بعض طلاب العلم النفوسيين إلى البصرة في إثراء الحركة العلمية والفكرية في جبل نفوسة وازدهارها؟ وهل يمكن اعتبار رحلة ابن مغطير الجناوني نموذجاً لذلك؟

المطلب الثاني: هدف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1- التعريف بتاريخ وأعلام جبل نفوسة ودورهم في ازدهار الحركة العلمية فيه.

2- التعرف على العوامل التي ساعدت على تطور الحركة العلمية في الجبل في عصوره المختلفة وخاصة رحلة طلاب العلم إلى البصرة.

3- دراسة دور العلاقات الثقافية بين جبل نفوسة والمشرق الإسلامي، وأثرها على الحركة العلمية في الجبل.

4- المساهمة في غثراء تاريخ وتراث الجبل وأعلامه.

5- دراسة التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب وأثر الرحلة العلمية على ذلك.

المطلب الثالث: أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يأتي:

1- الحاجة إلى معرفة تراثنا الفكري والثقافي والحضاري، والعوامل التي عملت على ازدهاره.

2- استخلاص العبر من كفاح السلف الصالح في طلب العلم.

3- تبصير الجيل المعاصر من أبناء نفوسة بتاريخهم وحضارتهم الممتدة بجذورها في عمق التاريخ.

المطلب الرابع: تساؤلات الدراسة

4- ما هي أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في جبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجري؟

5- كيف ساهمت رحلة طلاب العلم النفوسيين إلى البصرة في ذلك؟

6- هل تعتبر رحلة ابن مغطير إلى البصرة نموذجا لذلك؟

7- ما مدى مساهمة رحلة ابن مغطير الجناوني في ازدهار الحركة العلمية والفكرية في الجبل وانتشار المذهب الإباضي؟

المطلب الخامس: أسباب اختيار موضوع هذه الدراسة.

يرجع اختيار موضوع هذه الدراسة للأسباب الآتية:

1- ميلي واهتمامي بهذا الموضوع ومحاولة الإسهام في تسليط مزيد من الضوء عليه.

2- الرغبة في المشاركة في إبراز تراثنا الحضاري ودور السلف من علمائنا في صنع ذلك التراث.

3- توضيح أثر رحلة طلاب العلم النفوسيين أمثال ابن مغطير الجناوني في إثراء الحياة الفكرية والعلمية وانتشار المذهب الإباضي في جبل نفوسة

المطلب السادس: منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي والاستنباطي والتحليلي لتناسبها مع موضوع الدراسة.

المطلب السابع: الدراسات السابقة:

اطلعت على بعض الدراسات المتعلقة بموضوع هذه الدراسة لباحثين محليين ومن المغرب والمشرق منها:

1- دراسة بعنوان: (الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي من القرن 2 -8 هـ / 8 - 14 م) للباحث محمود حسين كوردي , وهي دراسة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ , تناول في الفصل الثاني من الدراسة الحياة العلمية في جبل نفوسة, والعوامل التي ساعدت على ازدهارها كالمساجد والمدارس والمكتبات والحلقات والمجالس العلمية والرحلات العلمية داخل الجبل وخارجه, وتحدث عن نماذج الرحلات العلمية الخارجية مثل: رحلة ابن مغطير الجناوني وحملة العلم إلى المغرب, واثرها في ازدهار الحركة العلمية في الجبل, وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها اهتمام سكان جبل نفوسة بالعلم والتعلم بفعل تعاليم الدين الاسلامي فقاموا بالرحلات العلمية فرادى وجماعات داخل الجبل وخارجه إلى المراكز الحضارية الإسلامية وعادوا إلى الجبل لنشر العلوم والفنون , واهتموا ببناء المساجد والمدارس وأنشأوا المكتبات ,وبذلك خلقوا المناخ العلمي لطلاب العلم والمعرفة , ونتيجة لذلك أصبح لجبل نفوسة مكانة علمية وثقافية في بلاد المغرب يقصده الطلاب من خارج الجبل , كما رحل العديد منهم إلى بلاد المغرب الأوسط والأدنى وساهموا في نشر العلم والمعرفة فيه , وانتشار الدين الإسلامي واللغة العربية في بلاد السودان الغربي والأوسط..

2- دراسة قام بها مسعود مزهودي , في كتاب بعنوان : (جبل نفوسة في العصر الاسلامي الوسيط) تناول فيه في الفصل الثاني من الباب الأول الحديث عن رحلات طلاب العلم المغاربة إلى البصرة مثل: حملة طلبة العلم الخمس , وابن مغطير الجناوني, ودور هذه الرحلات العلمية في ازدهار الحركة العلمية في الجبل, كما تناول في الفصل الثاني من الباب الرابع الحياة الفكرية والنهضة العلمية في الجبل, والعلاقات الثقافية بين جبل نفوسة والمشرق والمغرب الاسلاميين ,وفي خاتمة الدراسة تم استخلاص بعض النتائج منها: مساهمة جبل نفوسة بدور بارز في الحركة الثقافية والعلمية حيث صنف العلماء النفوسيين العديد من المصنفات في فنون العلم والمعرفة, وانتشر العلم داخل الجبل وخارجه, وأصبح الجبل معدن العلماء ورجال الفكر ,و نتيجة لتلك النهضة العلمية انتشر الإسلام في بلاد السودان الغربي على يد المشائخ والتجار النفوسيين.

دراسة مهنا راشد بن حمد السعدي بعنوان: (الشيخ عمروس ومنهجه العلمي والعقائدي من خلال كتاب الدينونة الصافية)، تناول في المبحث الثالث من هذه الدراسة الوضع الثقافي في جبل نفوسة من أواخر القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وما تميز به الجبل من عوامل وسمات ومواصفات أهلته ليكون جامعة علمية ساهمت في ازدهار الحركة العلمية فيه.

وفي معرض حديثه عن تلك العوامل عرّج على أهمية رحلة طلاب العلم إلى المشرق وسهولة اتصالهم بأئمة وعلماء المشرق وتناول بالحديث رحلة ابن مغطير الجناوني الذي كان أول من هاجر إلى البصرة من المغرب للدراسة على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وأثر هذه الرحلة في ازدهار الحركة العلمية في الجبل.

مقالة للدكتورة وجدان فريق عناد منشورة على موقع مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد بشبكة المعلومات الدولية بعنوان: (الرحلات العلمية بين البصرة وبلاد المغرب العربي).

تناولت الباحثة الحديث عن الرحلة العلمية ودورها في الثقافة والتاريخ العربي الإسلامي، وأهمية الرحلة العلمية وأهدافها، والجهد الكبير الذي يبذله طلاب العلم الرحالة، وصعوبة السفر وبعد المسافة للوصول إلى غايتهم، وضربت الباحثة مثلا لتلك الرحلات الرحلة إلى العراق حيث تميزت المدرسة العراقية بدرجة عالية من العلم والامتياز

وكانت البصرة أحد الحواضر التي تهافت عليها طلاب العلم من المشرق والمغرب، ونتيجة لأهمية البصرة وظهور أفكار المذهب الإباضي بها فكان كبار العلماء في المغرب يحثون طلبتهم للتوجه إليها لأخذ تعاليم الفكر الإباضي فاستجاب العديد من الطلبة لذلك، وشدّوا الرحال إلى البصرة ودرسوا على شيوخ ومؤسسي هذا المذهب وعادوا إلى أوطانهم معلمين ومفتين ودعاة أصبحت لديهم مكانة مميزة في بلادهم وبين أهليهم.

وفي نهاية المقال أكدت الباحثة على أهمية المدرسة البصرية في ازدهار الحركة العلمية في بلد المغرب والأندلس.

المبحث الثاني: الحركة العلمية في جبل نفوسة في القرنين (2-3 هـ/ 8 -9 م).

مقدمة:

شهدت منطقة جبل نفوسة كغيرها من بلاد المغرب تغييرات في مختلف جوانب الحياة بعد الفتح الاسلامي في القرن الاول الهجري، السابع الميلادي، خاصة بعد استقرار الاوضاع العسكرية والسياسية، ومن أبرز تلك التغييرات ازدهار وتطور الحركة العلمية والفكرية حيث توجه اهتمام سكان جبل نفوسة في مختلف مدنه وقراه نحو العلوم والفنون، خاصة الدراسات المتعلقة بالدين الاسلامي، وسيرة الرسول ومبادئ اللغة العربية لفهم مبادئ الدين الإسلامي وتوجيهاته وإرشاداته التي تحث على العلم والتعلم [1].

وقد استفاد سكان جبل نفوسة كغيرهم من سكان بلاد المغرب بجهود الفاتحين الذين ساهموا في تأسيس النواة الأولى للحياة العلمية والفكرية، حيث شهدت المنطقة دخول العديد من الصحابة والتابعين الذين تركوا أثرا علميا بين السكان.[2]

كما كان للبعثات العلمية التي أرسلها بعض الخلفاء الأمويين إلى بلاد المغرب دورا في ذلك، وعلى رأسها البعثة المتألفة من عشرة من العلماء التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة (100 - 101 هـ) لتوضيح مبادئ الدين الإسلامي بين السكان وترسيخه[3].

وهكذا بدأت الحركة العلمية في جبل نفوسة تحت مضلة الحضارة الاسلامية لأن الدين الإسلامي كان الحافز للاعتناء بالثقافة والفكر، وبدأت هذه الحركة بصورة شخصية بجهود أبناء هذا الجبل من العلماء الخيرين الذين امتلكوا الإرادة وقهر الصعاب وساهموا في تطويرها.

المطلب الأول: العوامل التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في جبل نفوسة [4].

1- الهدوء والاستقرار السياسي والأمني فلم تشهد المنطقة أي حروب أو غزوات كبيرة خلال عصورها الإسلامية وخاصة في فترة هذه الدراسة.

---

1 . أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا ' ط1 , (1971)، منشورات الجامعة الليبية، ص 129

2 أبو العرب محمد القيرواني، طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباقي، (د . ت) (1968) , الدار التونسية للنشر :

تونس، ص ص 73 . 83.

3 ابو بكر عبد الله المالكي، رياض النفوس، ج1 , ط2 , تحقيق بشير البكوش بيروت، (1994)، دار الغرب الاسلامي: بيروت، ص 93.

4 محمد علي دبوز , تاريخ المغرب الكبير . ط1 , (1963)، دار احياء الكتب العربية: القاهرة، ص 386.

2-ازدهار الأحوال الاقتصادية: حيث يتمتع الجبل بموارد اقتصادية هائلة كالزراعة والثروة الحيوانية وبعض الصناعات المحلية، ونشاط الحركة التجارية، وتبادل السلع داخل الجبل وخارجه، وتولد عن هذه النهضة الاقتصادية نمو المدن والعمران والحواضر العلمية.

. فكما يقول ابن خلدون: "أن العلوم تزدهر بكثرة العمران والحضارة "[5].

3- قرب الجبل إلى المشرق والمغرب مما سهل على طلاب العلم والعلماء الاتصال بالحواضر العلمية مثل البصرة وتاهرت، وكذلك قربه من القيروان التي عمل النفوسيون على منافسة الحركة العلمية فيها.

4-إيمان أهل نفوسة بأهمية العلم واعتباره قوة رادعة لمواجهة اعتداءات الأمويين والعباسيين، وأطماعهم في المنطقة

5- المناخ المعتدل الذي تميز به الجبل طيلة معظم الفصول الأربعة وهو جو صحي يساعد على الإقبال على العلم. والتعلم.

6- كثرة العلماء وطلاب العلم والصالحين الذين أوقفوا حياتهم لتعليم الناس أصول الدين وتعليم النشء، وقد وصف الشمّاخي جبل نفوسة ذلك بقوله " جبل نفوسة احتوى على الكرامات وكثرة الصالحين والعلماء، وكان فيه من

العلماء ما لا يوجد بغيره " [6].

7- همة السكان وطموحهم واهتمامهم البالغ بالثقافة والفكر والتعلم خاصة في مجال العلوم الدينية [7].

المطلب الثاني: دور المساجد في نشأة الحركة العلمية وتطورها.

يعتبر المسجد من أقدم المعالم الإسلامية التي توطدت في منطقة جبل نفوسة كغيرها من البقاع التي عمها الإسلام منذ السنين الأولى للفتح، حيث أقيمت المساجد والمصليات في كل مكان وانتشرت في الأماكن النائية وأعماق الصحراء باعتبارها مؤسسة إسلامية لا غنى عنها للجماعة الإسلامية [8].

وقد اهتم النفوسيون ببناء وتشييد المساجد في مختلف مدنهم وقراهم باعتبارها أماكن للعبادة ومجالس للعلم وتحفيظ القرآن ومنتدى لمناقشة أمور المجتمع وكان الباب مفتوحا أمام كل شرائح المجتمع لحضور تلك المجالس العلمية بما فيها العنصر النسائي التي يخصص لهن مجالس خاصة مفصولة بستار عن الرجال. ومن أمثلة

5 عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (د، ط)، (1981)، دار العودة: بيروت، ص 344.

6 أحمد بن عثمان سعيد عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، ج2 , دراسة وتحقيق محمد حسن، ط1 , (2009) , دار الكتب الاسلامية : بنغازي ليبيا , ص 772.

7 مسعود مزهودي , جبل نفوسة في العصر الاسلامي الوسيط , ط 1 , (2010) , مكتبة الضامري للنشر والتوزيع : سلطنة عمان ,ص 377 .

8 عبد اللطيف محمود البرغوتي، تاريخ ليبيا الإسلامي (د. ط)، (1972) , منشورات الجامعة الليبية : طرابلس , ص290.

المساجد التي أدت دورا كبيرا في الحياة العلمية فترة هذه الدراسة: **مسجد أبي خليل صال الدركلي:** وتأسس في نهاية القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي على يد الشيخ صال الدركلي [9] في دركل إحدى قرى الحرابة القديمة، وعمل معلما به وتخرج منه العديد من طلاب العلم.

مسجد أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني [10] : ويرجع أصول بناءه إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وهو من المساجد القديمة في جبل نفوسة في قرية جناون الواقعة شمال غرب مدينة جادو كان المسجد دُورا للعبادة ومدرسة لتعليم النشء، ساهم في ازدهار الحركة العلمية في القرية وخارجها، اجتمع به أكثر من سبعين عالما في عهد أبي عبيدة الجناوني [11].

1- مسجد سعد بن يونس الطمزيني: تأسس في منطقة أبي خروب بطمزين في القرن الثالث هـ، التاسع الميلادي على يد الشيخ سعد بن يونس [12] أصبح المسجد مركزا علميا يتوافد عليه طلاب العلم من مختلف مدن وقرى جبل نفوسة وامتد نشاطه العلمي إلى نهاية القرن الثامن الهجري [13].

1- مسجد أبي منصور إلياس: بناه أبو منصور إلياس النفوسي [14] في قرية تندميرة احدى قرى الجبل الواقعة في منطقة الحرابة وذلك في القرن (3 هـ . 9 م) ويعتبر من المساجد الكبيرة في جبل نفوسة، وساهم إلى حد كبير في تعليم النشئ وتطوير الحركة العلمية في المنطقة.

9 أبو خليل صال الدركلي، من علماء وأعلام نهاية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث، درس عن حملة العلم الخمسة إلى المغرب، عاش ما يزيد عن مائة وعشرين عاما. انظر الشماخي ج. 2 , مصدر سابق ص 348 , ايضا: ابراهيم بحاز وآخرون، معجم اعلام الإباضية، المجلد الثالث، ط. 1 (1999)، جمعية القرارة: غرداية الجزائر ص 465.

10 أبو عبيدة عبد الحميد ابن مغطير الجناوني من أعلام القرن الثالث الهجري، صنفه الدرجيني في كتابه طبقات المشايخ بالمغرب، من أعلام الطبقة الخامسة (200. 250). عينه الرستميون أيام الإمام عبد الوهاب حاكما على الجبل وطرابلس بعد وفاة أيوب بن العباس، انظر: الدرجيني , طبقات المشايخ بالمغرب , تحقيق ابراهيم محمد طلاي , ج . 2 , ط. 2 , (د. ن)، (د. ت)، ص 103 أيضا الشماخي ج .2 مصدر سابق، ص ص 310. 521.

11 انظر الشماخي، مصدر سابق، ص 772.

12 هو سعد بن وسيم ابي يونس بن نصر الويغي الطمزيني , من أعلام الطبقة الخامسة , تلقى مبادئ العلوم بويغو أحدى قرى منطقة الحرابة القديمة ثم استكمل دراسته في تيهرت حيث أرسله والده ,وبعد استكمال دراسته عاد إلى أرض الوطن وقام بالتدريس في المسجد المذكور الذي أسسه ,عمَر طويلا , توفى بعد معركة مانو (283 هـ / 896 م) , بين نفوسة والأغالبة وكان من المعارضين لخوض نفوسة غمار هذه المعركة . انظر الدرجيني مصدر سابق، ص 103 , ايضا معجم اعلام الاباضية ج. 3 مصدر سابق، ص 553.

13 محمود حسين الكردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، ط. 1 (2008)، دار الكتاب الوطنية: بنغازي، ليبيا، ص 77.

14 هو أبو منصور إلياس بن منصور النفوسي، عاش بداية حياته في بلدته تند ميرة وتلقى العلم على مشايخها، عينه الرستميون واليا على الجبل فكان من عظماء رجال الدولة وقائدا فذا لم يهزم له جيش طول حياته انظر الشماخي ج. 2 , ص 364.

2- مسجد عمروس بن فتح المساكني[15]:وهو من المساجد الكبيرة التي يعود تأسيسها إلى القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي في قرية امساكن القديمة بأرض الرحيبات وتسمى حاليا قطرس، وكان الشيخ عمروس وغيره من المشائخ يعقدون حلقاتهم العلمية فيه بحضور العلماء وطلاب العلم من القرية وخارجها[16] .

المطلب الثالث: المدارس.

ظهرت عدة مدارس في جبل نفوسة خلال العصور الإسلامية المختلفة وانتشرت بشكل ملحوظ في ربوع المدن والقرى الجبلية , و أدت دورا كبيرا في إثراء الحركة العلمية و الفكرية ,وكان ظهور تلك المدارس في الأساس ملاصقا للمساجد وجزءاً منها , ثم تطورت في مراحل لاحقة في شكل مدارس مستقلة , ويرجع الفضل في تأسيس بعض تلك المؤسسات إلى جهود العلماء والصالحين و ذوي البر و الإحسان الذين فتحوا منازلهم لطلاب العلم والعلماء لتكون مدارس لتعليم النشء وطلاب العلم , وتعهدوا بالإنفاق على تلك المدارس , ويمر التعلم في تلك المدارس بمراحل مختلفة من الابتدائية إلى العليا وكانت لها مقررات دراسية تتفق مع طبيعة كل مرحلة،

ومن العلوم المتداولة في هذه المؤسسات العلوم التعليمية كالفقه، والتفسير، وأصول الدين، وعلم الكلام، والأدب واللغة،

إضافة إلى العلوم العقلية كالمنطق والحساب والفلك .... وكانت الدراسة في هذه المدارس متاحة للجنسين بل هناك مدارس خاصة للعنصر النسائي.

وفيما يلي عرض موجز لبعض المدارس التي تأسست في القرنين الثاني والثالث الهجري وهي:

1- مدرسة عمرو بن يمتكن : تعتبر هذه المدرسة من أول و أقدم المدارس[17] في منطقة جبل نفوسة وتأسست في حدود سنة (140 هـ / 758 م) ,على يد الشيخ عمرو بن يمتكن[18] بمجهوده الذاتي في مدينة افاطمان القديمة التي أصبحت أطلال في زمننا هذا ,وتقع في أرض الرحيبات بين وادي بالرصف و وادي أم القرب

15 هو عمروس بن فتح المساكني ويكنى أبو حفص، تعلم على مشايخ الجبل ثم بالمغرب عشرين عاما وأصبح من أهم علماء زمانه، تولى القضاء أثناء ولاية أبو منصور إلياس لجبل نفوسة وله عدة مؤلفات في الفقه والعقيدة منها الدينونة في الأصول، وهو من العلماء الذين استشهدوا في معركة مانو (283 هـ 896 م) بين نفوسة والأغالبة. انظر الدرجيني ج. 2 , مصدر سابق، ص 135. ايضا الشماخي مصدر سابق، ص ص 366 . 371.

16 الكردي، مصدر سابق، ص 81.

17 على يحيي معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، القسم الثاني، ط. 1 , (1964)، دار الكتاب العربي: القاهرة , ص 75.

18 عمرو بن يمكتن من أعلام جبل نفوسة، تعلم القرآن وحفظه عن طريق ملاقاته للقادمين من المشرق في منطقة مغدماس بسرت، وجالس العلماء حتى صار منهم كان أول من جمع القرآن بجبل نفوسة، عينه أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري واليا على سرت وشاركه في عدة معارك وتوفى معه في معركة تاورغاء (144 هـ / 761 م) ضد قائد العباسيين محمد بن الاشعث، انظر: معجم أعلام الاباضية مج. 3 , مصدر سابق، ص 656.

(نانا تالا), بدأت الدراسة بها بسيطة وبمجهود الشيخ عمرو وبعض المشايخ لتعليم النشء قراءة القرآن وحفظه ومبادئ الدين الإسلامي وقواعد اللغة العربية , ومع عودة محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني وحملة العلم من البصرة الذي كان قبل تأسيس المدرسة بوقت قصير تطورت الدراسة بها بتوجهها إلى الدراسة العلمية واستخدام المناهج الدراسية وأساليب التدريس السائدة في مدرسة البصرة على يد أبو عبيدة مسلم بن كريمة , وكان تأسيس هذه المدرسة نواة للحركة العلمية في عموم الجبل وظهور المدارس في مختلف المدن والقرى وازدهارها فيما بعد [19] .

مدرسة أبي المنيب محمد بن يانس الدركلي [20]وهي من المدارس التي تأسست في القرن (2هـ / 8 م) في بلدة الجزيرة احدى قرى جبل نفوسة القديمة في الحرابة والتي يحيط بها وادي شروس من الغرب ووادي دركل من الشمال ووادي ايندل من الجنوب الشرقي [21] ,أسس هذه القلعة العلمية العلّامة محمد بن يانس الدركلي وكان أستاذا ومديرا لها , ساهمت هذه المدرسة في تخريج وإعداد طبقة ممتازة من طلاب العلم والعلماء الذين حملوا مشعل الثقافة والفكر في ربوع الجبل واستمر نشاطها العلمي إلى القرن (11 هـ / 17 م) في بداية الحكم العثماني لليبيا وكان لها عدة فروع في بعض قرى ومدن الجبل [22] . **مدرسة أبي زيد المزغورتي:** أسسها الشيخ أبو زيد [23] الذي عاش في نهاية القرن الثاني الهجري وبداية الثالث في قريته مزغورة احدى قرى فساطو الغربية الواقعة إلى الشمال الغربي من قرية ندباس، عقد الشيخ أبو زيد حلقة لنشر العلم وتعليمه في مسجده هذا، توافد عليها طلاب العلم من مختلف قرى الجبل على مر العصور واستمرت في أداء رسالتها التربوية والتعليمية إلى القرن (7 هـ / 13 م) رغم مرورها بفترات ركود شأنها شأن

19 على يحيي معمر، مصدر سابق، ص 58.

20 هو محمد بن يانس الدركلي النفوسي (ابو المنيب) أخذ العلم من اسماعيل بن درار الغدامسي أحد حملة العلم إلى المغرب، كثير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كان من الأربعة الذين أرسلتهم نفوسة إلى تيهارت وكان دوره مناظرة المعتزلة، وأفلح في ذلك، انظر . معجم اعلام الاباضية مج. 4 ص 828 , أيضا: ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ترجمة عبدالله زارو ط , 2 , (2013) , مؤسسة تاوالت الثقافية ص 35.

21 محمود حسين الكردي، مصدر سابق، ص 81.

22 أحمد مختار عمر، مصدر سابق، ص 116.

23 هو أبو زيد المزغورتي، أحد شيوخ نفوسة، مستجاب الدعاء، عاش في نهاية القرن الثاني الهجري وبداية الثالث منه، انظر معجم أعلام الإباضية مصر سابق مج. 2 ص 338.

المدارس الأخرى [24] . **مدرسة أبي ذر أبان بن وسيم الويغي:** وهي من مدارس القرن (3 هـ / 9 م)، وأسسها العلامة أبان بن وسيم الويغي [25] في قرية ويغو القديمة بأرض الحرابة والواقعة بين قرية بقّالة شرقا ووادي شروس غربا وقرية مرقس شمالا والظاهر جنوبا. أقام الشيخ أبان مدرسته بعد استكمال دراسته على شيخه صال الدركلي [26]وغدت قلعة علمية خرّجت دفعات كبيرة من طلاب العلم والعلماء الذين أثْروا الحياة الثقافية والعلمية في ربوع الجبل.

1-**مدرسة أبي الربيع سليمان اللالوتي:** ويعود تاريخ تأسيسها إلى القرن (3هـ / 9 م) بمدينة نالوت القديمة في أقصى غرب جبل نفوسة ومؤسسها العلامة أبي الربيع سليمان اللالوتي [27] الذي تكفل بالإنفاق عليها وإدارتها والتدريس فيها بمساعدة مجموعة من العلماء الأجلاء، ويعتبر أبو الربيع من مبتكري ورواد الرحلات العلمية حيث كان يرتحل مع طلابه بين قرى ومدن الجبل [28] .

6 – مدرسة أم يحيى (نانا تكسليت)[29] :وهي من المدارس الأولى في منطقة جبل نفوسة التي أقيمت لتعليم الفتيات

والعنصر النسائي بصفة عامة ويعود تأسيسها إلى القرن (3 هـ / 9 م) , والفضل في ذلك للعالمة أم يحيى التي أقامت هذه المدرسة في بيتها وبمجهودها الذاتي, واحتوت المدرسة قسما داخليا لإيواء الطالبات القادمات خارج القرية [30], كما تكلفت بتوفير كل ما يلزم الطالبات من إعاشة و متطلبات الدراسة والراحة والأمن, وبذلك توافد عليها أفواج من طالبات العلم من ربوع الجبل , وساهمت في انعاش الحركة العلمية في الجبل عامة وبين العنصر النسائي خاصة ,وبرزت العديد من طالبات العلم اللاتي تفوقن في تحصيليهن ,وأصبحن من عالمات

24 على يحيي معمر، مصدر سابق، ص 105.

25 هو ابان بن وسيم ابن يونس بن نصر الويغي النفوسي (أبو ذر) من اعلام الطبقة الخامسة، تولى حكم الجبل أيام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي (208 . 258 هـ / 823 . 837 م)، انظر معجم أعلام الاباضية مصدر سابق، مج، 1 ص 8.

26 الكردي، مصدر سابق، ص 88.

27 هو أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي , عالم جليل من علماء الجبل في عصره , قتل مع مجموعة من تلاميذه في احدى رحلاته العلمية في فصل الربيع بمنطقة تيجي وهو ابن سبع وعشرين سنة . انظر: .كتاب السير للشماخي، مصدر سابق، ج. 2 ص 462 , ايضا: يحيي مسعود المقدمي، مدينة نالوت وعلماؤها، (د. ط)، (د. ن)، (د. ت)، ص 16.

28 معمر، الحلقة الثانية القسم الثاني، مصدر سابق، ص 63.

29 أم يحيي وتسمى (نانا تكسليت) امرأة عالمة و صالحة يرجع أصلها إلى قرية جلمية القديمة قرب مدينة كاباو , تلقت العلم على مجموعة من علماء عصرها أمثال: أبان بن وسيم الويغي , اشتهرت بقوة الحفظ والذاكرة , كانت على قيد الحياة (283 هـ / 896 م) بعد وفاة زوجها في معركة مانو . انظر معجم أعلام الإباضية، مج 2 , مصدر سابق، ص 211 , البغطوري، مصدر سابق، ص53.

30 معمر، الحلقة 2 , القسم 2 , مصدر سابق، ص 235.

ذلك الجيل أمثال: أم زعرور الجيطالية [31], ويعتبر وجود هذه المؤسسة شاهد تاريخي على التطور الحضاري في منطقة الجبل .

المطلب الرابع: المكتبات.

شهد جبل نفوسة عبر عصوره المختلفة اهتماما كبيرا بالكتاب والحصول عليه بشتى الطرق تأليفا ونسخا أو عن طريق الشراء[32] من المشرق والمغرب، وأصبحت مدن الجبل وقراها تزخر بالعديد من المكتبات المليئة بالكتب والدواوين النفيسة، وقد امتازت تلك المصنفات بالشمول والتنوع في أنواع العلوم مثل: العلوم الدينية، والشرعية، واللغة، والتاريخ والسير، والحساب، والفلك وغيرها من الفنون [33] ،وتفاوتت تلك المكتبات في حجمها وعدد مصنفاتها ويمكن التمييز بين نوعين منها وهما:

1- المكتبات الخاصة بالأفراد: وهي ملك لأصحابها من العلماء وطلاب العلم وعادة ما تكون ضمن مقتنيات بيوتهم ويتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد.

2- المكتبات العامة : وهي ملك ووقف لبعض المؤسسات التعليمية والدينية, ويستفيد منها كل القراء من طلاب العلم والشيوخ والعامة, وعادة ما تكون ملحقة بالمدارس أو المساجد أو مستقلة بذاتها , مثل: مكتبة خزانة نفوسة بمدينة شروس [34] التي كانت تحتوي على آلاف الكتب , والمكتبة الكائنة في قصر ولّمْ[35] التي تحتوي نحو ثلاث وثلاثون ألف كتاب , وكذلك مكتبة قصر العسوسي بمدينة تالات القديمة أو ما يسمى بالحوامد في وقتنا هذا , وبالإضافة إلى تلك المكتبات هناك المئات من الخزائن في مختلف مدن وقرى الجبل ولا تسعفنا المصادر التاريخية بأسمائها و أماكن وجودها وقد تعرضت للنهب والحرق والدمار بسبب الفتن التي ابتلى بها جبل نفوسة خاصة بعد القرن العاشر الهجري [36] ,كما استفادت الحركة العلمية في جبل نفوسة من مكتبات المناطق المجاورة في جربة والقيروان و مكتبة المعصومة في تاهرت , وغيرها [37]

---

31 أم زعرور عالمة من قرية جيطال الواقعة على سفح الجبل شرق قرية الخربة مركز مدينة الرحيبات، تلقت العلم بمدرسة ام يحيي عرفت بالذكاء والحكمة. انظر معجم اعلام الاباضية مج , 2 , مصدر سابق، ص 314.

32 انظر: مزهودي , مصدر سابق , ص 417 .

33 مهنى راشد السعدي، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقائدي من خلال كتاب اصول الدينونة الصافية، ط , 1 (2004)، مكتبة الجيل الواعد: مسقط، سلطنة عمان، ص 115.

34 شروس: من المدن القديمة في الجبل فتحها الصحابي الجليل عمرو بن العاص 23 هـ , تقع في منطقة الحرابة في وادي شروس تحدها قرية أم صفار شرقا , وتندميرا غربا , كانت العاصمة العلمية لجبل نفوسة .

35 تقع في أعلى قمة جبل ولّمْ المطل على مدينة شروس وإلى الشمال الشرقي منها، وهو قصر تخزيني خصص جزء منه لمكتبة عامة. انظر: الكردي، مصدر سابق، ص 100 , ايضا الشماخي، كتاب السير ج , 3 , مصدر سابق، ص 832.

36 انظر دبوز , مصدر سابق , ص 388 .

37 انظر أحمد مختار عمر، مصدر سابق، ص 109.

المطلب الخامس: حلقات العلم.

كان تأسيس مدرسة عمر بن يمكثن في أفاطمان فاتحة لنشأة حلقات العلم التي انتشرت تدريجيا في سائر المدن والقرى بالجبل مثل: شروس، وويغو وتندميرة وجادو وإجناون وميري.... وغيرها [38] ،وانضم إلى تلك الحلقات التي أدارها علماء أجِلّاء أعداد غفيرة من تلاميذ وطلاب العلم، وتخرج منها مشاهير العلماء من الرجال والنساء، وعادة ما تعقد تلك الحلقات في المساجد والمدارس والبيوت خاصة بيوت العلماء.

وقد دأب بعض العلماء بالتنقل بين المدن والقرى وأقاموا حلقات لتعليم الناس أحكام الدين والشريعة الإسلامية، إضافة إلى التعرف على أحوال الناس، وتقويم بعض الانحرافات وتصويبها، والالتقاء مع نظرائهم للتباحث والنقاش في بعض المسائل الفقهية وتوحيد وجهات النظر فيها، واصطحب بعض العلماء طلابهم في تلك الرحلات ويعتبر عاصم السدراتي أول من سنّ هذه السنّة وكان يتجول في مواطن الجبل وخارجه للوعظ والإرشاد والنصح [39]

ويقتصر حضور بعض الحلقات على كبار الشيوخ والعلماء وتسمى بالمجالس العلمية [40] وهي أشبه بالمؤتمرات العلمية التي تعقد في المؤسسات الأكاديمية في وقتنا الحاضر، وتناقش فيها أمور الدعوة وبعض المسائل الفقهية والنوازل إضافة إلى المناظرات العلمية والكلامية.

المطلب السادس: رحلات طلاب العلم النفوسيين خارج الجبل.

شدّ بعض طلاب العلم من أبناء الجبل الرحال إلى خارجه لاستكمال دراستهم والاستزادة من العلوم والمعارف والاطلاع على أساليب التدريس والمناهج في الحواضر العلمية في المشرق والمغرب , وقد بدأت بوادر هذه الحركة بعد قدوم الداعية سلمة بن سعد [41] إلى بلاد المغرب وجبل نفوسة لنشر مبادئ المذهب الإباضي , حيث حثّ طلاب العلم وشجعهم على السفر إلى البصرة للتتلمذ والدراسة على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة [42] وكان ابن مغطير الجناوني من الرواد الأوائل للرحلة إلى البصرة ومن بعده حملة العلم للمغرب , ثم توالت

38 مزهودي , مصدر سابق , ص 383 .

39 انظر مزهودي , مصدر سابق , ص 387.

40 الكردي، مصدر سابق، ص 106.

41 هو سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني، عالم وداعية درس على أئمة المذهب الإباضي أمثال: جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وكان أول من جاء من البصرة إلى بلاد المغرب العربي الاسلامي في بداية القرن (2هـ / 8م) يدعو للمذهب الاباضي بأمر من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. انظر: معجم أعلام الاباضية مج , 3 مصدر سابق ص ,391.

42 هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، من أصل فارسي أخذ العلم عن جابر بن زيد الأزدي، تولى إمامة الإباضية بعد وفاة أستاذه جابربن زيد (95 هـ / 711 م)، أسس مدرسة في البصرة تخرج منها مشاهير أئمة المذهب الإباضي ودعاته، وله عدة مؤلفات العقيدة والشريعة والعبادات، توفى (145 هـ / 762 م) , انظر معجم أعلام الاباضية , مصدر سابق مج , 4 , ص 873 .

رحلات طلاب العلم من نفوسة شرقا وغربا صوب مراكز العلم وحواضره مثل تيهرت والقيروان وشط الجريد و وارجلان [43] وغيرها , وقد عاد هؤلاء الطلبة إلى أوطانهم بعد استكمال دراستهم ,وساهموا في نشر العلم والثقافة ومبادئ الدين ,وتولوا العديد من الوظائف كالقضاء والتدريس والفتوى وغيرها , في حين طاب المقام للبعض الآخر من هؤلاء الطلبة وبقوا في تلك البقاع وساهموا بدورهم في الحياة الفكرية فيها .

المبحث الثالث: التواصل الثقافي بين إباضية المشرق والمغرب.

مقدمة:

يعتبر التواصل الثقافي بين الشعوب ضرورة إنسانية وعمل حضاري لتحقيق إنسانية البشر وإبراز قوى الخير فيه لتحقيق التعايش مع المختلفين معرفيا وفكريا وتطوير الفكر الإنساني وتقارب الشعوب بما ينعكس عليها في العديد من الجوانب الأخرى كالتبادل الاقتصادي والتجاري والسياحي والاجتماعي , ففي العصور الإسلامية لم تكن الحدود السياسية والجغرافية عائقا يحول دون ذلك , ويعتبر التواصل بين إباضية المشرق والمغرب نموذجا لذلك, وقد اتخذ هذا التواصل عدة مظاهر منها : تبادل الرسائل, وكان ذلك منذ نشأة المذهب الإباضي وانتشاره خاصة عندما تتعذر حركة التنقل , وقد تضمنت هذه المراسلات موضوعات مختلفة لدعم المذهب ,كمعرفة آخر التطورات عند كل جانب والفتوى والاستشارة والاستغاثة وتقديم النصح وفض النزاع وإصلاح ذات البين والتفقه في الدين وغيرها [44] ومن أمثلة تلك المراسلات :رسائل الإمام أبو عبيدة بن مسلم والربيع بن حبيب إلى إباضية المغرب, ورسائل علماء ومشايخ الغرب إلى كبار أئمة المذهب.. وقد لعبت هذه الرسائل دورا كبير في التواصل الثقافي والفكري بين إباضية المشرق والمغرب [45] ’ويعتبر موسم الحج مظهرا آخر من مظاهر هذا التواصل فقد كان المغاربة حريصين على حضور هذا الموسم خاصة العلماء للالتقاء بالعلماء والمشايخ المشارقة من أهل العلم وحضور حلقات الدروس للاستزادة من العلم والحصول على الفتوى في العديد من القضايا والنوازل , وكان أهل نفوسة يداومون على حضور موسم الحج ويحجون بعائلاتهم [46] , كما دأب العلماء المغاربة إلى زيارة إخوانهم في بعض الحواضر العلمية في المشرق مثل القاهرة وبغداد والبصرة وعمان وحضرموت.... وغيره [47].

43 مزهودي، مصدر سابق، ص 421.

44 مهنا بن راشد بن حمد السعدي، مصدر سابق، ص 164.

45 محمد ناصر أبو حجام، العلاقات الثقافية بين عمان والجزائر، تبادل الرسائل نموذجا ط. 1 (2003)، مكتبة الضامري : السيب , سلطنة عمان , ص 234 .

46 الدرجيني ج. 2 مصدر سابق، ص 141.

47 مهنا راشد مصدر سابق، ص 170.

ومن مظاهره أيضاً تبادل الكتب والمصنفات خاصة مع المشرق، ولعل إرسال أهل البصرة للإمام عبد الوهاب حمولة أربعين جملا من الكتب، وقدوم بشر بن غانم[48] بمدونته إلى الجبل وهو في طريقه إلى عاصمة الدولة الرستمية دليل على هذا التواصل وتزويد مكتبات تيهارت وجبل نفوسة بالكتب والمراجع [49].

المطلب الأول: الرحلة العلمية مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بين إباضية المشرق والمغرب

اهتم المسلون بالعلم وتنظيمه والسعي في تحصيله ولو في أقصى بقاع الدنيا امتثالا لأوامر الشريعة الإسلامية لطلب العلم والتفقه فيه، فكان طلاب العلم من المسلمين يقطعون المسافات ويجوبون الفيافي والقفار متعرضين للأخطار للوصول إلى المعرفة والتفقه في شتى العلوم والتتلمذ على كبار الشيوخ والعلماء، ونظرا لأهمية الرحلة العلمية وفوائدها فقد صنّف الباحثون والعلماء العديد من المؤلفات في فضلها وأهميتها وفوائدها وحثوا طلاب العلم للقيام بها ويمكن إيجاز فوائد الرحلة فيما يأتي: [50]

1- مساعدة الطالب على الحصول على المعلومات من شيخه مباشرة بمجالسته وحواره وعدم الاقتصار على قراءة. مصنفاته.

2- الاطلاع على مناهج البحث والدراسة وطرق التدريس المتبعة وكل المستجدات في التخصصات المختلفة.

3- التعرف على أهل العلم المعروفين بغزارة علمهم وتنوع معارفهم والأخذ عنهم والتحلي بأخلاقهم وفضائلهم.

4- الحصول على إجازات علمية متعددة وفي تخصصات مختلفة.

5- التعرف على البلدان والشعوب والاطلاع على عاداتها وتقاليدها وإرثها الثقافي والحضاري وزيادة التبادل الثقافي بين الشعوب.

6- تعتبر الرحلة العلمية علامة على التكوين العلمي للعالم ونمو مداركه المعرفية وآفاقه الفكرية.

وانطلاقا من هذه المميزات والفوائد الجمة للرحلات العلمية وأثرها في إثراء الحياة الثقافية والفكرية تبادل إباضية المشرق والمغرب الرحلات خاصة من المغرب إلى المشرق , فقد شدّ عدد من طلاب العلم والمشايخ الرحال إلى الحواضر العلمية في المشرق كالبصرة وتتلمذوا على مشايخها ورجعوا إلى أوطانهم لنشر ما تعلموه ,ومن هؤلاء ابن مغطير الجناوني وحملة العلم إلى المغرب , وفضّل البعض الآخر من طلبة العلم الإقامة في

48 أبو غانم بشر بن غانم الخرساني من فقهاء الإباضية من أصل خرساني أعلام القرن (3 هـ / 9 م) كان على قيد الحياة سنة (208هـ) درس في البصرة على يد الإمام أبوعبيدة مسلم بن كريمة، والربيع بن حبيب قام برحلة إلى مصر وبلاد المغرب وعرج على جبل نفوسة والتقى بالشيخ عمروس المساكني، وواصل رحلته إلى تيهرت والتقى بالإمام عبد الوهاب وأهداه نسخة من المدونة المشهورة باسمه. انظر: . الدرجيني مصدر سابق، ص 138. ايضا مهنا بن راشد، مصدر سابق، ص 30.

49 مزهودي مصدر سابق، ص 419.

50 محمد بن سقيف، تطور العلوم بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري (د. ط)، (2011)، جامعة تلمسان: الجزائر، ص 75.

المشرق وتقلدوا بعض الوظائف كالقضاء والتدريس والإدارة[51] وفي المقابل قام بعض علماء المشرق بزيارات ورحلات إلى إخوانهم بالمغرب للاطلاع على أحوالهم ونشر تعاليم ومبادئ المذهب الإباضي, والمساهمة في تعليم الناس وطافوا بعدة مدن في جبل نفوسة والمغرب الأدنى والأوسط ’فكانت لهم بصمات ثقافية وفكرية في تلك المناطق , ومن أمثلة ذلك رحلة الداعية سلمة بن سعد , وزيارة الإمام أبو غانم بن بشر الخرساني إلى العاصمة الرستمية تيهارت لمقابلة الإمام عبد الوهاب وإهدائه نسخة من مدونته , ودرس عليه العديد من طلاب العلم أمثال الإمام أفلح بن عبد الوهاب , كما عرّج أبو غانم في رحلته هذه على جبل نفوسة والتقى بعلمائها ومشايخها أمثال: عمروس بن مساكن [52] وزار مؤسساتها التعليمية واستفاد الجبل من علمه ومؤلفاته, ومن العلماء المشارقة الذين ارتحلوا إلى المغرب أيضا ابن الجمعي[53] .

المطلب الثاني: رحلة طلاب العلم النفوسيين إلى البصرة.

البصرة مدينة عراقية تقع جنوب بلاد الرافدين على الضفة الغربية لشط العرب وهي من المدن العريقة والقديمة ,تأسست في عهد الخليفة عمر بن الخطاب 14 هـ وثم اختيار موقعها لاعتبارات عديدة منها عسكرية كقاعدة لإدارة وقيادة الحرب في الجزء الجنوبي من الجبهة الفارسية، ثم تحولت من معسكر إلى مدينة سنة 17 هـ [54]. ونظرا لموقعها الجغرافي فقد تركت أثرا كبيرا في الحضارة الإسلامية ,خاصة في المجال الفكري والعلمي وفي مختلف الميادين والعلوم , فكانت مركزا علميا وملتقى للثقافة والمعرفة ,وعاصمة لنشأة مختلف العلوم الإنسانية منذ القرنين الأول والثاني للهجرة , ولعبت دورا كبيرا كغيرها من المدن العراقية كبغداد والموصل والكوفة وواسط في استقطاب العلم وطلابه فوفد عليها طلاب العلم من المشرق والمغرب للدراسة على علمائها , ورجعوا أوطانهم لنشر ما تعلموه , فكان للعلم في البصرة سمته الخاصة في البلاد الإسلامية , وقد ميّز ابن حزم الأندلسي[55] العراق على سائر البلاد الإسلامية المشرقية ووصفه بينبوع المعرفة [56] .

---

51 الكردي، مصدر سابق، ص 116.

52 الدرجيني، ج. 2 , مصدر سابق، ص 138.

53 ابن الجمعي، أو ابن الجمع عالم وتاجر مشرقي عاش في القرن (4 هـ / 10 م)، لا تذكر المصادر التاريخية اسمه بالكامل وكذلك موطنه، ارتحل من المشرق عن طريق مصر وليبيا إلى توزر التي استقر بها حينا ثم واصل رحلته إلى سجلماسة بالجزائر واستقر بها حتى وفاته وتتلمذ عليه العديد من طلاب العلم. انظر: مزهودي المصدر السابق، ص 420 , معجم اعلام الاباضية مج. 2 , ص 230.

54 مفتاح يونس الرباص، تاريخ الحضارة الاسلامية، ط. 1 , (2009)، دار الأصالة والنشر والتوزيع: طرابلس ليبيا ص 278.

55 هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عاش في الأندلس، (384 . 456 هـ / 994 . 1064 م)، فقيها وعالما باحثا له عدة مؤلفات أشهرها: الفصل في الملل والأهواء والنحل، وجمهرة الانساب، نور الدين الزركلي، الاعلام مج. 4 , ط .5 , (1980) , دار العلم للملايين بيروت، لبنان ص 254.

56 وجدان فريق عناد، الرحلات العلمية بين البصرة وبلاد المغرب العربي الاسلامي. بحث منشور على موقع مركز إحياء التراث العلمي بجامعة بغداد. http://. rashc.uobaghdad.eud.iq

وللأهمية العلمية والثقافية لمدينة البصرة فقد أصبحت مركز دعوة للمذهب الإباضي ,وقاعدة أساسية انطلق منها الدعاة شرقا وغربا , وكان زعماء هذه القاعدة من أوائل علماء الإباضية وعلى رأسهم الإمام جابر بن يزيد المؤسس الأول للمذهب الذي انتقل من عُمان بعد أن أنهى تعليمه الابتدائي فيها إلى البصرة ,وطاب له المقام في جوها العلمي و أصبحت موطنه ونسبه ودرس على علمائها أمثال عبدالله بن عباس , حتى أصبح عالما فذا , فكان أول من ألف في الحديث ووضع الموسوعات في الشريعة الاسلامية ومن مؤلفاته ديوانه الشهير (ديوان جابر بن زيد)[57] , ومن أبرز تلاميذ جابر الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي أعجب بذكائه وقوة شخصيته فقرّبه إليه وجعله من خاصته , فدرس على يد جابر وغيره من العلماء والتابعين حتى أصبح من كبار علماء عصره , تولى تنظيم الدعوة 95 هـ بعد وفاة أستاذه جابر سنة 93 هـ بسنتين و أصبح هو المؤسس الثاني للمذهب [58] , وعمل على تنظيم الدعوة والدعاة, وقد رأى الإمام أبو عبيدة أن السبيل الوحيد لإقامة الدولة العادلة ونجاح الدعوة هو الاهتمام بالعلم والتخصص فيه فهو أساس الدولة والتربية السليمة وترسيخ المثل العليا كإحياء الإمامة العادلة وغرس المحبة والأخوة بين المسلمين, إضافة إلى الورع والتقوى والبعد عن المعاصي والنظرة الصحيحة للقرآن [59] , ولترسيخ هذه المبادئ أسس الإمام أبو عبيدة مدرسته في أطراف البصرة بعيدا عن السلطات الحاكمة التي حاربته وسجنته عديد المرات , فكانت المدرسة في سرداب تحت الأرض اتخذه لصنع القفاف ومدرسة للتلاميذ ,و وضع على مدخله سلاسل من حديد لتنبيههم لدخول الغريب لإيقاف الدرس والتظاهر بصنع القفاف [60].

واعتنى أبو عبيدة بتثقيف عقول تلاميذه خلال دروسه المتنوعة في الأصول والفروع والسيرة والتوحيد والشريعة والتفسير وفنون الحكم والسياسة وأساليب الاستمالة والإقناع ومبادئ الدعوة الإباضية وغيرها من علوم عصره [61] وعلى الرغم من الظروف التي مرت بها المدرسة فقد تخرج منها العدد الهائل من الطلبة الذين حملوا العلم والهداية والدعوة إلى مختلف بلدان المشرق والمغرب، وبلغ التنظيم السري أوج نشاطه على يد الإمام أبي عبيدة الذي قرر بعد ذلك الانتقال من مرحلة الكتمان إلى مرحلة الظهور وإعلانها في الأمصار البعيدة عن مركز

57 زيانة بن خلفان الحارثية، الامام جابر بن زيد وتأسيسه الفكر الإباضي ط. 2 ,(2012) , مكتبة الجيل الواعد : مسقط سلطنة عمان ص 106 , دبوز مصدر سابق، ص 140.

58 فرحات الجعبيري شخصيات إباضية، ط. 1 , (2010)، مكتبة الضامري: سلطنة عمان ص 19. ايضا: . علي محمد الصلابي، الإباضية مدرسة اسلامية بعيدة عن الخوارج ط. 1 ,(2018) , (د . ن)، (د. م)، ص 50.

59 دبوز مصدر سابق، ص 190.

60 زاهر الحجري، الإباضية في الغرب الاسلامي، ط. 1 (2012)، مكتبة الجيل الواعد: مسقط، سلطنة عمان ص 60.

61 أنظر: مزهودي، مصدر سابق ص 77 , أيضا دبوز مصدر سابق ص189

السلطة الأموية التي حاربت الدعوة في البصرة والمشرق فكان اتجاهه نحو المغرب الذي يعاني من ظلم وجبروت الأمويين.

وكان أول الدعاة الذين أرسلهم أبو عبيدة إلى المغرب سلمة بن سعد الذي استطاع نشر الدعوة ,وجذب العديد من الأتباع وساعده على ذلك مستواه الفكري الجيد إضافة إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السيئة التي تعيشها المنطقة , وكان سلمة بن سعد يسعى لتحقيق مجموعة من الأهداف منها نشر عقيدة المذهب الإباضي بين السكان والقيام بدراسات دقيقة لتلك البلدان , وانتقاء قياديين ودعاة من أبناء المنطقة لإرسالهم إلى مدرسة البصرة للتتلمذ على أبي عبيدة لإعدادهم وتدريبهم لتحمل عبء القيادة والتدريس في المنطقة حتى تستند الدعوة على أسس صحيحة[62] ,لذلك فقد اختار سلمة بعثة طلبة العلم المغاربة إلى البصرة من مناطق مختلفة حتى يصبح لكل منها زعيمها الديني وهم : أبو ذرار الغدامسي من غدامس ,وعبد الرحمن بن رستم من القيروان , وعاصم السدراتي من سدراتة غرب الأوراس ,و أبو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة جنوب تونس , وانضم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري اليمني[63] .

مكثت البعثة في البصرة خمس سنوات(135 – 140 هـ) تلقت فيها مبادئ الدعوة وأصولها وغيرها من العلوم الشرعية و فنون الحكم والسياسة على يد أبي عبيدة ورجعوا إلى أوطانهم بزاد وعلم وفير ليبثوه بين أهليهم وذويهم , ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت آثارها في المنطقة فكَوّنوا تلاميذ عرفوا بعلمهم وتقواهم و ورعهم وإخلاصهم للدعوة أمثال : خليل الدركلي , والإمام عبد الوهاب , وعمرو بن يمكثن وغيرهم[64], وقبل رحيل بعثة حملة العلم المغاربة إلى البصرة , ونتيجة لانتشار مبادئ الدعوة في جبل نفوسة فقد ارتحل بعض طلاب العلم النفوسيين إلى البصرة لأخذ أصول الدعوة وتعاليمها وغيرها من العلوم من إمامها الأكبر أبي عبيدة ,ومن مشاهير هؤلاء أبا عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني ,وهو أول تلميذ من المغرب يسافر إلى مدرسة أبي عبيدة مسلم بن كريمة في البصرة[65].

المبحث الرابع: محمد بن عبد الحميد بن مغطير النفوسي الجناوني (نموذجا لرحلة طلاب العلم النفوسيين إلى البصرة).

المطلب الأول: سيرته الذاتية:

62 على محمد الصلابي، مصدر سابق، ص 70.

63 عمر خليفة النامي، مصدر سابق، ص 113.

64 محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، ط. 2 (2002)، مكتبة الاستقامة مسقط: سلطنة عمان، ص 150.

65 دبوز , مصدر سابق , ص 188

هو محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النفوسي , ويكنى أبو عبد الله , عاش في قريته إجناون [66] احدى قرى منطقة جادو بجبل نفوسة , لا تسعفنا المصادر التاريخية بتاريخ ميلاده , وترى أنه من أعلام القرن (2 هـ / 8 م) , فهو "من تابعي التابعين" [67] ,بدأ مسيرته العلمية في قريته إجناون , ولم تتناول كتب السير والتاريخ المراحل التعليمية التي مر بها أو الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أو العلوم التي تلقاها عليهم ,ولكن من خلال بعض النصوص الواردة في كتب السير يمكن الحصول على بعض الإشارات التي تدل على مسيرته العلمية و التي لا تختلف عن أمثاله من طلبة العلم في جبل نفوسة وذلك بأن يبدأ التلميذ دراسته في كتّاب ومسجد القرية أو المدينة بتعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم حفظ كتاب الله , وتعلم المبادئ الأولية للعبادات و الآداب والأخلاق الإسلامية وسيرة الرسول والصحابة والصالحين , ثم يلتحق الطالب بمرحلة التعليم العليا التي تتم أيضا في المدارس والمساجد ومنازل العلماء بإشراف علماء ومشايخ متمكنون , وتستمر هذه المرحلة لسنوات من التحصيل [68] , وهكذا كان مشوار ابن مغطير العلمي على شيوخ قريته وغيرهم من مشايخ الجبل.

يصفه الشماخي بأنه " شديد الشكيمة، قوي العريكة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقيما لحدود الله لا تأخذه في الحق لومة لائم " [69], عمَر طويلا وعاصر عدة دول وشخصيات سياسية وعلمية أمثال: أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني و أدرك نشأة دولة أبي الخطاب [70] سنة (140 هـ/ 757 م) ,ودولة أبي حاتم الملزوزي [71] سنة (145 هـ / 762م) ,وقيام الدولة الرستمية سنة (160هـ / 777 م) وعاش بعض أحداثها , كما عاصر مجيء الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي [72] إلى جبل نفوسة وإقامته سبع سنين في قرية

66 إجناون، احدى القرى القديمة في منطقة جادو بجبل نفوسة، تقع أسفل مدينة جادو يحيط بها قرى مزغورة وندباس وجماري من الغرب، ومن الشرق قرى القصير (تالات نيماران) واشباري ومن الشمال يوجلين .

67 معمر، الحلقة الثانية، القسم الثاني، مصدر سابق، ص 57.

68 مهنا بن راشد السعدي، مصدر سابق، ص 215.

69 الشماخي، مصدر سابق، ج. 2 ص 271 ,

70 هو أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري اليمني، أحد حملة العلم الذين درسوا بالبصرة على يد أبي عبيدة مسلم بن كريمة، عين إماما بعد عودته إلى المغرب على طرابلس (140 هـ / 757 م) توفى في معركة تاورغاء (144 هـ / 759 م) التي دارت بينه وبين القائد العباسي محمد الأشعث , انظر : معجم أعلام الإباضية , مج . 2 , مصدر سابق 505.

71 أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوزي الهواري من قبيلة هوارة بايعه إباضية الجبل وطرابلس للإمامة بعد وفاة أبي الخطاب، توفى (سنة 155 هـ / 772 م) الدرجيني ج. 1 , مصدر سابق، ص 36.

72 هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثاني أئمة الدولة الرستمية تولى الحكم بعد وفاة والده حكم: . (171 – 208 هـ/757 –823) أقام بالجبل سبع سنوات (190 . 197 هـ / 805 . 812 م) عندما عزم على آداء مناسك الحج ومعارضة علماء جبل نفوسة ومنعه من ذلك خوفا عليه من بطش العباسيين، انظر: معجم اعلام الإباضية مج. 3 مصدر سابق، ص 591. ايضا دبوز مصدر سابق، ص ص 500 .505.

ميري ببني زمور بأرض الرجبان , بعد ان أسس مسجده المعروف الذي أصبح مركزا للدروس العلمية والفقهية ومقرا لحكمه , وكان ابن مغطير من المداومين لحضور هذه الدروس على كبر سنه ومن المقربين للإمام الذي يكن له كل التقدير والاحترام ويستشيره في العديد من القضايا ويكلفه بالبث في العديد من القضايا بين المتخاصمين والفصل فيها وذلك لثقته فيه ومستواه العلمي والفقهي الجيد إضافة إلى مكانته الاجتماعية المتميزة في ربوع الجبل [73] .

المطلب الثاني: رحلته إلى البصرة .

كان حبه للعلم وحرصه على الاستزادة منه إضافة إلى انتشار أفكار الدعوة الإباضية في جبل نفوسة قبل مجيء سلمة بن سعد واقتناعه بها من الدوافع القوية التي شجعته للقيام برحلته الشهيرة إلى البصرة للنهل من المنبع الأصلي للدعوة فقرر السفر إليها رغم قلة إمكانياته المادية ومخاطر الطريق وطوله لكن إرادته القوية وعزمه الشديد على تحدي تلك الصعاب كان أقوى , فانطلق في رحلته من الجبل إلى طرابلس ومنها شرقا عبر سرت وبرقة إلى مصر معرجا على بلد الحرمين لأداء مناسك الحج والالتقاء بغيره من العلماء وبعد انتهاء موسم الحج واصل رحلته إلى العراق قاصدا البصرة ليلتحق بمدرسة أستاذه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التي مكث بها زهاء أربع سنوات ملازما لحلقات العلم مع أستاذه وغيره من المشايخ الذين تلقى عليهم العلوم المتنوعة في الأصول والفروع والسيرة والتوحيد والشريعة والأحكام والتفسير وفنون الحكم والسياسة و مبادئ الدعوة وأفكارها وأساليب الإقناع والاستمالة , وبعد أن أخذ غايته في العلم والدراسة وبلغ في ذلك مبلغا مرموقا أجازه أستاذه للتدريس والفتوى والدعوة , فقرر العودة إلى مسقط رأسه فكان ذلك في حدود سنة(135 هـ/ 753م) قبل سفر بعثة حملة العلم المغاربة التي أرسلها سلمة بن سعد الحضرمي إلى البصرة[74].

وعند عودته إلى جبل نفوسة اشتغل بالفتوى والتدريس في عديد من حلقات العلم في مساجد ومدارس الجبل، وامتنع عن الفتوى بعد عودة حملة العلم من البصرة باعتبارهم أولى بذلك لأنهم أخذوا من أقوال الإمام أبي عبيدة بعد أن حررها [75].

وتُحدثنا بعض كتب السير والطبقات عن بعض المواقف الدالة على علمه وحكمته ونبوغه وعدله في القضاء أنه تخاصم خصمان أمام الإمام عبد الوهاب فطلب الإمام من المدعى عليه الإجابة على بعض الأسئلة المتعلقة بالقضية , فامتنع عن الرد وردّ بكلام مسئ, فسأل الإمام الحاضرين عن ابن مغطير الجناوني فكان الجواب بعدم وجوده فأجّل الجلسة إلى اليوم الثاني وكان موقف المدعى عليه نفس الموقف ولم يحضر ابن

73 الكردي، مصدر سابق، ص 117.

74 المصدر سابق، ص 116.

75 أ أنظر البغطوري , سيرة مشايخ نفوسة , تحقيق توفيق الشقروني ط 1. , (2014) , مؤسسة تاوالت ص 124 انظر ايضا الشماخي , مصدر سابق , ج . 2 , ص 270.

مغطير, وكذلك في اليوم الثالث حتى إذا حضر ابن مغطير في اليوم الرابع وكان منزويا في أحد زوايا المسجد مستغشيا بثيابه , طرح الإمام الأسئلة على المدعى عليه فامتنع عن الرد كعادته فسأل الإمام عن ابن مغطير فوثب من مكانه وركل المدعى عليه بركبتيه فقام الرجل مذعورا مستنجدا بالإمام الذي طلب من ابن مغطير العفو عنه ففعل ذلك واستجاب المدعى عليه لأسئلة الإمام وأقر واعترف بالحقيقة[76] .

تمثل هذه الحادثة نموذجا من أخلاق ابن مغطير وعلمه واهتمامه بأمور المسلمين وحل مشاكلهم بالعدل وعدم التجني عن الحق والإستكبار عن أمر الله أو إساءة الأدب أمام الحاضرين فكان أهلاً لحمل أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [77]..

ومن إسهامات ابن مغطير العلمية جمع القرآن الكريم وحفظه في جبل نفوسة وهو أول من قام بذلك [78] .

أثارت رحلة ابن مغطير إلى البصرة اختلاف وجهات نظر الباحثين في أسبابها فيرى فريق منهم أمثال مسعود مزهودي أن ذلك من آثار دعوة سلمة بن سعد الذي أشار عليه بذلك وأرسله إلى البصرة [79] , في حين يرى فريق آخر أن ذلك ربما كان بترتيبات ابن مغطير الشخصية باعتبار أن الدعوة الإباضية كانت منتشرة في جبل نفوسة قبل قدوم سلمة بن سعد بكثير [80] .

ومهما بلغ الاختلاف في أسباب رحلة ابن مغطير إلى البصرة فإن المصادر التاريخية تكاد تجمع على أن ابن مغطير كان أول من التحق بمدرسة البصرة من إباضية المغرب وهو الذي فتح الطريق أمام البعثات العلمية وطلبة العلم في جبل نفوسة والمغرب لطلب العلم وذلك تناغما مع مبادئ ديننا الاسلامي الذي يحث المسلمين على طلب العلم ولو في أقصى بقاع الأرض، وأن تقوم طائفة منهم بالتفقه في الدين وتدعو إلى تطبيق الشريعة الاسلامية وأوامر الله ونواهيه [81] .

المطلب الثالث: نتائج الرحلة .

ترتب على هذه الرحلة عدة نتائج على الصعيدين المحلي والخارجي فعلى الصعيد المحلي:

1-ساهمت في انبعات الحركة العلمية و ازدهارها في جبل نفوسة التي بدأت بسيطة مع بداية الفتح الاسلامي ثم تطورت وتوجهت إلى الدراسة المنهجية التي تتلمذ عليها ابن مغطير وغيرهم من طلبة العلم في البصرة , حيث استفادت المدارس الناشئة والقائمين فيها بالتدريس وطلبة العلم في المنطقة بتطبيق أساليب التدريس

76 أنظر السير، مصدر سابق، ص270 , أيضا البغطوري , مصدر سابق ,ص124 .

77 أنظر علي يحيى معمر، مصدر سابق، الحلقة الثانية _ القسم الأول ص 30

78 أنظر دوز , مصدر سابق , ص 188 , ايضا أحمد مختار عمر , مصدر سابق , ص33.

79 أنظر مزهودي , مصدر سابق , ص 70 .

80 أنظر صالح امحمد عبازة , جبل نفوسة منذ اقدم العصور , ط 1. , (د . ن) , ص43 .

81 أنظر على يحيي معمر، الحلقة الثانية، القسم الأول، مصدر سابق، ص 129.

والمناهج الدراسية السائدة في البصرة ,ومن تلك المؤسسات التي استفادت من ذلك مدرسة عمرو بن يمتكن التي تأسست بعد عودة ابن مغطير بقليل في افاطمان , وغدت أول مركز علمي في الجبل يتوافد عليه طلاب العلم من مختلف قرى ومدن الجبل ودرسوا بها وتخرجوا منها ورجعوا إلى بلدانهم شيوخا ومعلمين ومؤسسين حلقات العلم في المدارس والمساجد وبذلك تطورت وانتشرت الحركة العلمية وظهر العديد من كبار العلماء الذين أسهموا في التدريس والفتوى وتأليف الكتب في عديد من فروع العلم خاصة الدينية [82].

2- زادت من انتشار المذهب الإباضي والحفاظ عليه بين سكان جبل نفوسة، وأصبح الجبل دار هجرة للإباضية [83].

3- ونتيجة للحركة العلمية التي ترتبت على هذه الرحلة ساهمت المدارس في توفير الأطر العلمية المؤهلة للقيام بالمهام اللازمة لإدارة الجبل كالإمارة والتدريس والخطابة والتوثيق والقضاء والحسبة والإدارة ..... وغيرها.

4-تماسك النسيج الاجتماعي بين ساكنة الجبل بتواصل العلماء وتلاميذهم وانتقالهم بين مدن وقرى الجبل وحدوث حالات المصاهرة والزواج بين مختلف المناطق.

5-نالت المرأة النفوسية نصيبها من العلم لكثرة المجالس العلمية وحظيت باهتمام المشايخ نظرا لدورها الهام في المجتمع فعملوا على إعدادها حتى تؤدي رسالتها بشكل جيد، فظهرت العديد من العالمات من مختلف المدن وساهمت في نشر العلم والمعرفة بين المجتمع النسائي بل وتأسست مدارس خاصة لهن [84].

وعلى الصعيد الخارجي دعمت هذه الرحلة حركة التواصل الثقافي والفكري والعقائدي بين إباضية المشرق والمغرب بمظاهرها المختلفة التي سبق الحديث عنها في المبحث السابق، كما دعمت العلاقات السياسية والفكرية بين إباضية جبل نفوسة والدولة الرستمية في الميدانين العسكري والعلمي، فكما قال الإمام عبد الوهاب: "إن هذا الدين قام بسيوف نفوسة، وأموال زناتة ". فقد استنجد الإمام عبد الوهاب بنفوسة للقضاء على الواصلية وشغبهم في تاهرت فلبّت النداء و أرسلت وفدا من أربعة أشخاص من خيرة الفرسان والمتضلعين في علم الكلام وعلم التفسير والرد على المخالفين [85] , وفي المجال الفكري والعلمي دعمت هذه الرحلة العلاقات الثقافية بين الدولة الرستمية وجبل نفوسة فقد سافر العديد من طلاب العلم إلى العاصمة الرستمية ودرسوا بها على علمائها و أئمتها وعادوا إلى الجبل أمثال: سعد بن أبي يونس الطمزيني, وعمروس بن فتح المساكني , كما ساهم

82 عمرو النامي، مصدر سابق، ص 116.

83 مزهودي , مصدر سابق , ص 75 .

84 مزهودي مصدر سابق، ص ص 430 . 432.

85 سليمان عبدالله الباروني، الزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ج. 2 (د. ت) المطبعة البارونية القاهرة: مصر، ص 118.

الرستميون في دعم الحركة العلمية في الجبل بتزويد مكتباته بالكتب , وزيارة بعض العلماء و الأئمة إلى الجبل ومثال على ذلك: إقامة الإمام عبد الوهاب لسبع سنين في الجبل وإلقاءه للدروس في مسجده بميري ببني زمور.

المبحث الخامس: (نتائج الدراسة – التوصيات).

المطلب الأول: نتائج الدراسة.

من خلال الدراسة والبحث تم التوصل إلى مجموعة من النتائج منها:

استجابة إلى تعاليم ديننا الاسلامي وتوجيهاته القاضية بطلب العلم والحرص على تحصيله في أي مكان ارتحل بعض طلاب العلم النفوسيين إلى الحواضر العلمية في المشرق كالبصرة لما في تلك الرحلات من فوائد.

كان ابن مغطير الجناوني من الرواد الأوائل للرحلة إلى البصرة من بلاد المغرب.

تعتبر هذه الرحلة نموذجا للرحلات العلمية التي قام بها طلاب العلم المغاربة إلى المشرق عامة وإلى البصرة خاصة لتشابهها في أهدافها ونتائجها مع تلك الرحلات.

عززت الرحلة العلمية إلى البصرة حركة التواصل الثقافي والدعوة بين إباضية المشرق والمغرب، كما دعمت العلاقات السياسية والفكرية بين النفوسيين والدولة الرستمية.

من آثار الرحلة العلمية إلى البصرة في جبل نفوسة انتشار المذهب الإباضي والحفاظ عليه واستمراره.

ساهمت الرحلات العلمية إلى المشرق وعلى رأسها رحلة ابن مغطير الجناوني على ازدهار الحركة العلمية في جبل نفوسة بتطبيق أساليب التدريس والمناهج الدراسية السائدة في مدرسة البصرة على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في المؤسسات التعليمية الناشئة في الجبل كالمدارس والمساجد وغيرها من حلقات العلم التي تهافت عليها طلاب العلم النفوسيين وخرَجت العديد من العلماء الذين أسسوا مدارس وحلقات للعلم في ربوع مدن وقرى الجبل جمعت بين الجنسين من طلبة العلم والعلماء الذين ساهموا في نشر العلم والمعرفة وتأليف الكتب , وتخريج العديد من الكوادر اللازمة للإدارة المحلية بالجبل .

هناك عوامل ساعدت على انتعاش الحركة العلمية في جبل نفوسة في فترة هذه الدراسة مثل: الاستقرار الأمني في الجبل والحالة الاقتصادية الجيدة للسكان وقرب الجبل من الحواضر العلمية في المشرق والمغرب، وهمة السكان واهتمامهم بالعلم واعتباره قوة رادعة للأعداء..

المطلب الثاني: التوصيات.

أناشد طلاب العلم والباحثين في مؤسساتنا الأكاديمية بمواصلة الدراسة والبحث في هذا الموضوع لحاجته إلى المزيد من إماطة اللثام وتسليط الضوء عليه.

إنشاء هيئة مختصة بدراسة تاريخ وسيرة وأعلام الجبل ومعالمه في العصور المختلفة ودعمها بالإمكانيات المادية والأطر البشرية المتخصصة.

تخصيص موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية يهتم بنشر الدراسات والبحوث المتعلقة بتاريخ جبل نفوسة السياسي والثقافي والاجتماعي في مراحله المختلفة.

أناشد السلطات المحلية والجهات المختصة كجامعة نالوت ومؤسسات المجتمع المدني والخيرين من أبناء هذا الوطن المساهمة في طباعة ونشر كل الدراسات والبحوث المتعلقة بتاريخ وثرات الجبل ليتمكن طلاب العلم والباحثين الاطلاع عليها.

الاستمرار والمداومة في إقامة هذه المحافل والمؤتمرات العلمية ودعمها.

خاتمة البحث وخلاصته:

بحمد الله وتيسيره وعونه نختم هذه الدراسة التي تناولت موضوع أثر رحلة العلماء النفوسيين إلى المشرق على الحركة العلمية والفكرية في جبل نفوسة (رحلة ابن مغطير الجناوني إلى البصرة نموذجا)وهي محاولة متواضعة لتسليط الضوء عليه ولا أدعي أنها قد نالت من البحث منتهاه فإن تحقق ذلك فهو مرادنا وما التوفيق إلا من عند الله وإن شابَهُ النقص أو التقصير فهو عمل بشري , ويتلخص البحث في خمس مباحث تضمن المبحث الأول منها : الإطار المنهجي المتكون من إشكالية الدراسة وهدفها و أهميتها وتساؤلاتها و سبب اختيار الموضوع والمنهج المتبع والدراسات السابقة.

وتضمن المبحث الثاني: الحركة العلمية في جبل نفوسة في القرنين (2-3 هـ / 8 – 9 م) والعوامل التي ساهمت في ازدهار تلك الحركة والوسائط الثقافية كالمساجد والمدارس والمكتبات ورحلات طلاب العلم بين مدن وقرى الجبل.

والمبحث الثالث : . يتناول التواصل الثقافي بين إباضية المشرق والمغرب ومظاهره مع التركيز على الرحلة العلمية كأحد تلك المظاهر, واهميتها وفوائدها , ثم الحديث عن بعض رحلات طلاب العلم بين المشرق والمغرب وبشيء من التفصيل عن رحلة طلاب العلم النفوسيين إلى البصرة كنموذج لأهميتها العلمية والدعوية , وكذلك الحديث عن مدرسة أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة واستقطابها لعديد من طلاب العلم والدعاة من المشرق والمغرب ومنهم سلمة بن سعد الذي أرسله أبو عبيدة إلى المغرب لنشر أفكار الدعوة و إرساله حملة العلم الأربعة إلى البصرة ودراستهم على أبي عبيدة لخمس سنوات وعودتهم ومساهمتهم في نشر الدعوة والعلم في أوطانهم, وفي نهاية المبحث تم الاشارة إلى انتشار مبادئ الدعوة الإباضية في جبل نفوسة قبل قدوم سلمة بن سعد وسفر ابن مغطير الجناوني إلى البصرة وعودته قبل إرسال سلمة للبعثة العلمية لطلاب العلم المغاربة .

المبحث الرابع: يتحدث عن رحلة محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني إلى البصرة كنموذج من رحلات العلم النفوسيين إلى البصرة متضمنا سيرته الذاتية، والحديث عن رحلته وأسبابها، وعودته إلى الجبل وآثارها العلمية والدعوية في المنطقة ونتائجها على المستوى المحلي والخارجي.

المبحث الخامس : . يتناول نتائج البحث المتخلصة في أن ابن مغطير الجناوني كان من الرواد الأوائل للرحلة إلى البصرة من بلاد المغرب ,وأن الرحلة العلمية عززت من حركة التواصل بين إباضية المشرق والمعرب ودعمت العلاقات السياسية والفكرية بين نفوسة والدولة الرسمية , وساهمت في انتشار المذهب الإباضي في جبل نفوسة وازدهار الحركة العلمية فيه بفضل مجموعة من العوامل مثل: الاستقرار الأمني والحالة الاقتصادية الجيدة والاهتمام بالعلم, كما تناول المبحث مجموعة من التوصيات نذكر منها : مناشدة طلاب العلم بمواصلة البحث في نفس الموضوع ,و إنشاء هيئة مختصة بدراسة تاريخ وأعلام الجبل ودعمها ماديا ومعنويا , ونشر كل البحوث المتعلقة بتاريخ الجبل .

أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزان حسناتي وأن ينفع به طلاب العلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله أجمعين.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم بن بكير بحّاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ط 1 (1999) جمعية التراث: القرارة غرداية.
- أبو العرب محمد القيرواني، طبقات علماء أفريقية وتونس، (د. ط)، (1968) تحقيق علي الشابي –ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر: تونس.
- أبوبكر عبدالله المالكي، رياض النفوس، ج1 , ط 2. (1994)، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي: بيروت.
- أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ط2 (د. ت) تحقيق إبراهيم محمد طلاي، (د. ن) (د. س).

1- أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير ط1 (2008) تحقيق محمد حسن، دار الكتب الإسلامية: بنغازي.

2- أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا ط 1 (1971) منشورات الجامعة الليبية.

3- تاديوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ترجمة عبد الله زارو ط2 , (2013) , مؤسسة تاوالت الثقافية (د . م).

4- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط5 (1980)، دار العلم للملايين: بيروت.

5- زاهر الحجري، الإباضية في المغرب الاسلامي، ط1 , (2012)، مكتبة الجيل الواعد مسقط، سلطنة عمان.

6- زيانة بنت خلفان الحارثية، الإمام جابر بن زيد وتأسيسه الفكر الإباضي، ط2 (2012) مكتبة الجيل الواعد: مسقط، عمان.

7- سليمان عبدالله الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية (د.ت) المطبعة البارونية: القاهرة.

8- صالح امحمد عبازة، جبل نفوسة منذ أقدم العصور، (د. ط)، (د. ت) (د. م) (د. ن).

9- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (د. ط) (1981) دار العودة: بيروت

10- عبد اللطيف محمد البرغوثي، تاريخ ليبيا الاسلامي، (د. ط) (1972) منشورات الجامعة الليبية: طرابلس.

11- علي محمد الصلابي، الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ط1 (2018) (د. ن)، (د. م).

12- علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ط1 (1964)، دار الكتاب العربي: القاهرة.

13- عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، (د. ط)، (د. ت) مطابع النهضة، ش. م. م.

14- فرحات الجعبيري، شخصيات إباضية، ط 1 , (2010)، مكتبة الضامري: السيب، سلطنة عمان.

15- محمد بوشقيف، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري (د. ط) (2011). جامعة تلمسان: الجزائر.

16- محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، ط2 (2002) مكتبة الاستقامة: مسقط سلطنة عمان.

17- محمد على دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ط1 , (1963)، دار الكتب العربية: القاهرة

18- محمد ناصر بوحجام، العلاقات الثقافية بين عمان والجزائر، تبادل الرسائل نموذجا، ط1 (2003)، مكتبة الضامري , السيب : سلطنة عمان .

19- محمود سليمان الكردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي ط1 (2008)، دار الكتب الوطنية: بنغازي.

20- مسعود مزهودي، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، ط1،(2010) مكتبة الضامري: سلطنة عمان.

21- مفتاح يونس الرباص، تاريخ الحضارة الاسلامية، ط1 , (2009) دار الاصالة للنشر والتوزيع: طرابلس،

22- مقرين بن محمد البغطوري، سيرة مشائخ نفوسة، تحقيق توفيق عياد الشقروني (2014)، مؤسسة تاوالت الثقافية (د. م).

23- مهنا بن راشد السعدي، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقائدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصافية، ط1 , (2004)، مكتبة الجيل الواعد: مسقط، سلطنة عمان.

24- وجدان فريق عناد، الرحلات العلمية إلى البصرة وبلاد المغرب العربي الاسلامي، بحث منشور على موقع.. مركز إحياء التراث العلمي بجامعة بغداد على شبكة المعلومات الدولية.
http.//:rashc.uobaghdad.eud.iq

25- يحيى مسعود المقدمي، مدينة نالوت وعلماؤها، (د. ط)، (د. ت).